Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فخلع نفسه من الخلافة ، وتولى بعده المهتدى بالله وسط هذه القلاقل العاصفة ، نجد أن نفسية البحترى لم تكن تبدى رضا أو سرورا أو ارتياحا ، وإنما كانت تبدى أسفاً واضحاً ، وكآبة لا تخفى على متأمل . فمطالع مدحه المعتز بالله نجد فيها صدى واضحا لهذا الأسى وتلك الكآبة ، متحدثة عن أسباب عديدة لهذا الحزن ، ولكننا لا ننتظر أن تكون هذه الأسباب أو الصور التى يصرح بها الشاعر حقيقية ، وإنما هى أستار تقليدية ولكنها تشف عما خلفها مما يدور فى نفسية الشاعر من مشاعر لم تكن من قبيل الرضا ، وكان من أسوأ ما تمخض عنه هذا الاضطراب أنه انتهى إلى صورة من الهوان والإذلال للكيان العربى ممثلا فى شخص الخليفة ، حيث استطاعت الشعوب التى شعرت بإذلال العرب لمجدها العريق ، وخصوصا الفرس والروم أن تستعيد شيئا من كيانها بالتدريج حتى بلغ من نفوذها أن تتحكم فى الخلافة ، تولى من تشاء ، وتعزل من تشاء ، وتقتل متى تشاء ، والبحترى شاعر عربى ، وهو من ألصق الشعراء بالخلفاء ، فلم يكن غريبا أن تملأ هذه الأحداث نفسه كآبة وحزنا ، والخليفة الذى يبلغ به الهوان والضعف أن يخلع نفسه من الخلافة لعجزه عن مقاومة الضغوط كالمعتز ، لا ينتظر أن يحظى من شاعر كالبحترى بإعجاب أو تقدير أو رضا ، ولذلك نجد مطالع مدحه المعتز بالله تحمل صدى هذه المشاعر التى تجول فى نفسه ، فهو أحيانا يتحسر على مجد غابر بين قصور زاهية بيباض يرمز به إلى النعيم والمجد ، وبين آكام شامخة يرمز بها إلى الرفعة وعلو الشأن فيقول :

أترى الزمان يُعيدُ لى أيامى بين القصور البيض والآكام ؟(٥٥)

وأحيانا يتحسر على عهد سابق يرمز إليه بالشباب ، لائماً نفسه على أنه يريد من الأيام أن تحقق له ما لا تسمح به الظروف ، كمن ودع عهد الشباب ولكنه ما يزال مصرًّا على أنه يصلح للغزل ، ويرجو لطف الود عند الحسان ، وهى صورة أشبه بزوال المجد الذى كان يراه من حوله ، وزوال النعيم الذى كان فيه ، مع ما يراود نفسه من أمل فى عودة المياه إلى مجاريها ، فيقول :

أبعد الشباب المنتضى فى الذوائب أحاول لطف الود عند الكواعب ؟(٥٦)